أرسل إليّ أبو عبد الله رسالةً من أخيه، يهنئني فيها بعيد الفطر، وهي رسالةٌ مصورةٌ كتبها في أنفاق بيت حانون، أي على خط المواجهة الأول في أقصى شمال قطاع غزة!!، وقد غمرتني الرسالة بطوفانٍ من المشاعر؛ أشدُّها عليَّ وأعظمُها عندي العَجبُ من أنَّ رجلا في بيت حانون -بين المعارك والأشلاء والكرِّ والفر- يتذكر رجلاً مثلي مُنعَّماً مُمتَّعاً في اسطنبول!!، فشكرتُه ما أسعفتني لغتي في الشكر، ثم صرتُ أرسل بالاطمئنان عليه بين الفينة والأخرى!. ثم ما لبثَ بعدها شهوراً -حين انعقدت الهدنة التي بدأت في يناير 2025م- أنْ أتحفني بأمرٍ هو أعز وأغلى وألذ وأحلى.. فقد أخبرني أبو عبد الله أنَّ أخاه أبا زكي كتب كتاباً بين الأنفاق والعُقَد القتالية، سمَّاه «تحت راية الطوفان».. دَوَّن فيه بعض ما رآه في هذا الطوفان من عجائب وكرامات ومن شدائد ومحن!!، فطلبتُ إليه أن أقرأ الكتاب قبل نشره، لشدَّة حرصي على تتبع أخبار الرجال الذين لا يظهرون على الإعلام، ولا يبثون مشاعرهم حتى على مواقع التواصل، فوافق مشكورا مأجورا..

وأخبرني أبو عبد الله أنَّ أخاه القائد الشهيد كان يتابعني، بل لقد كان يُدَرِّس بعض كتبي للشباب معه في جبهات القتال!، وقد علم الله، لشأني في نفسي أحقر من هذا وأدنى وأهون.. ولَأن يجري اسمي على لسان مجاهدٍ لهو شَرَفٌ عزيز، فكيف بهذا المقام؟!.

وبينما كنتُ أقرأ الكتاب -الذي هو الآن بين يديك- وألتهمُه، وأتشرَّبُ ما فيه من رائحة الأنفاس وصهيلها، وهدير المعارك ولهيبها، وما تثيره من المعاني في القلوب والعقول، وما تثيره من الغبار في الأنوف والصدور.. إذ فوجئت بصاحبنا يذكرني في كتابه بثناءٍ حسن.. فصرتُ في بحرٍ من الحَيرة، لا أدري من أيِّ شيءٍ أعجب، ولا على أيِّ شيءٍ أتحسر.. وأسأل الله أن يسترنا بستره الجميل.. غير أنَّ ثناء المجاهد لا يعدله عندي ثناءٌ، مهما عَظُم صاحبه في شأن الدنيا!!، ولك أن تتخيل